

التفسير العلمي: منهج الشيخ محمد المتولي الشعراوي في تفسير القرآن الكريم

حفيفة العفاف بنت محمد نظام¹

يسري بن جيك²

محمد زهدي بن إسماعيل³

الملخص

إن ممارسة التدبر مهمة في محاولة فهم معنى آيات القرآن، وخاصة في فهم معنى الآيات التي تحتوي على عناصر علمية وهو التفسير العلمي. بينما يتطلب فهم التفسير العلمي قوة العقل والفكر، وهو وسيط لربط الفهم العلمي للشخص بآيات الكونية الموجودة في التفسير العلمي. أما الشيخ محمد المتولي الشعراوي فهو من أشهر العلماء في مجال التفسير العلمي. في الواقع، لقد تمكن من إكمال تفسير غني بعناصر التفسير العلمي يسمى تفسير الشعراوي. لذلك، من المهم أن يفهم شخص أفكار الشيخ الشعراوي ومناهجه في تفسيره. وبشكل عام، فإن الغرض من هذه الدراسة هو فهم خلفية التفسير العلمي وخلفية الشيخ محمد المتولي الشعراوي. في حين أن الهدف المحدد لهذه الدراسة

¹ طالبة في مرحلة درجة الإجازة العالية في دراسات القرآن والسنة بالجامعة الإسلامية الماليزية - دار القرآن

المصلحة الشؤون الإسلامية الماليزية (JAKIM)

² محاضر في دار القرآن المصلحة الشؤون الإسلامية الماليزية (JAKIM)

³ محاضر اللغة العربية في جامعة مارا للتكنولوجيا

هو الكشف عن جوانب التفسير العلمي في تفسير الشعراوي. استخدمت هذه الدراسة عدة المناهج لجمع المعلومات، وهي استخدام العديد من الكتب والمجلات والمواقع الإلكترونية وغيرها من المصادر ذات الصلة للحصول على المعلومات المتعلقة بالتفسير العلمي، وخاصة تفسير الشعراوي. وفي أثناء تحليل البيانات والمعلومات، استخدمت منهجيات استقرائية واستنتاجية. وأما نتيجة لذلك، قد حدد واكتشف الحقائق العلمية الموجودة في تفسير الشعراوي. وفي الحقيقة، جاءت الباحثة بخمسة أمثلة من آيات الكونية العلمية في تفسيرها. يجب أن تساعد هذه الدراسة القراء على اكتساب فهم أفضل للتفسير العلمي، وخاصة تفسير الشعراوي. وأخيرا، تأمل الباحثة أن تكون هذه الدراسة مفيدة للقراء ويمكن استخدامها كمرجع في المستقبل.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي، منهج، الشيخ محمد المتولي الشعراوي، تفسير القرآن الكريم.

المقدمة

إن علم التفسير هو من أهم المعارف في العلوم الإسلامية. وله دور كبير لتوضيح آيات من القرآن على النحو المطلوب من قبل الله سبحانه وتعالى. وهكذا من الجائز أن يقال إن علم التفسير هو الأكثر شرفا من المعرفة في وظيفته. ولذلك، أولئك الذين يعملون

بهنه المهام ليست اعتباطية، ولكن لديهم القدرة والإعداد. وقد أنتجت هذه الطائفة التفاسير بأشكال مختلفة على أساس قدرتهم وميولهم تناسب بزماهم ومكانهم.

أن القرآن حجة الله على الإنس والجن أجمعين، وجزء كبير من الثقلين من غير المسلمين، وغير المسلم لا يقتنع بصدق النبوة بمجرد ورود بعض الإشارات العلمية في الآيات القرآنية التي يجتهد المفسرون في استخدامها لإيضاح المعنى وهو ما يسمى التفسير العلمي. إنما يحتج عليه بما يثبت قطعاً استحالة معرفة علمية منشودة البشر له وقت نزول القرآن، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يكشف الله للناس بعد ذلك من حقائق العلم التجريبي ما يكون مذكوراً في القرآن فهذا هو الإعجاز العلمي.

فاعلم أن التفسير العلمي ضرورة أساسية لفهم جميع آيات القرآن التي تتحدث عن آفاق الكون، وخبايا الكائنات والنفس البشرية، ومن ثم فقد عجت عجباً شديداً من معارضي التفسير العلمي للقرآن الكريم⁴. يدرس هذا البحث عن تفسير العلمي المتعلق بتفسير آيات القرآنية عند تفسير الشيخ محمد المتولي الشعراوي. وجاء البحث مشتملاً على مقدمة: في خطة البحث، ومنهجه، ومشكلة البحث وكان من أهم

⁴ د. حسني حمدان الدسوقي حمامة. (٢٠١٤م). التفسير العلمي ووجه إعجاز القرآن الكريم. الألوكة الشرعية. <https://www.alukah.net/sharia/0/70052/> التفسير-العلمي-ووجه-إعجاز-القرآن-الكريم/

أسباب هذا البحث: مكانة الشيخ محمد المتولي الشعراوي المعروفة في مصر والعالم الإسلامي في تفسير القرآن ولأنه يمثل تفسيره في التفسير العلمي في العصر الحاضر.

يتكلم هذا البحث عن: "تفسير العلمي: منهج الشيخ محمد المتولي الشعراوي في تفسير القرآن الكريم، وهو أحد أهم العلم في تفسير العلمي، وقد بحثت دراسته في كتاب الله عز وجل من خلال ما قدمه الإمام الشعراوي من تفسيره. كان الإمام الشعراوي شديد الحرص على كشف أسرار التعبير القرآني، وقد لاحظنا هذا من خلال تحليله لجملة المواضع التي جاء فيها أسلوب التعريف والتنكير، إيماناً منه بالدور الكبير لمباحث تفسير العلمي في فهم القرآن وتفسيره تفسيراً لائقاً ومقبولاً.

نبذة تاريخية عن التفسير العلمي وتطورها

التفسير لغة بمعنى كشف المعطي وبيانه أي تشور مائة التفسير حول متى الكشف مطلقاً⁵. ومن أجل ذلك فسر مجاهد لقوله تعالى:

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً

(سورة الفرقان: ٣٣)

⁵ مصطفى مسلم. 1421هـ. كتاب مباحث في التفسير الموضوعي. ص ١٥.

بقوله: بيانا. وأما من تعريفات التفسير في الاصطلاح عند العلماء هو تعريف بأبي حيان الأندلسي يقول التفسير هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمت ذلك⁶. وعند بدر الدين الزركشي⁷ التفسير هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد، وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه.

وبالنسبة كلمة "العلم" هو كلمة العلمي نسب إلى العلم والعلم في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة والجزم والإدراك، وهو ضد الجهل⁸. أما في الاصطلاح فإن تعريف العلم يختلف باختلاف معرفيه تبعا لمجال تخصص العلماء. أهل التدوين يرى أن العلم هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها. إن الفلاسفة يرون أن العلم عبارة عن الشيء الحاصلة في الذهن. وأما العلم عند المتكلمين عبارة عن صفة يتجلي بها الأمر لمن قامت به والعلم عند علماء الشريعة: العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله

⁶ محمد عاصم بن محمد علي. 2020م. "الدراسات القرآن السنة". (ورقة عمل). التفسير العلمي للقرآن الكريم: دراسة عن الآيات الكونية في سورة يس. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، نيلاي. ص 19.

⁷ نفس المرجع. ص 19.

⁸ نفس المرجع. ص 19.

في خلقه وأوامره ونواهيه والعلم إذا أطلق دون قيد فالمراد به علم الشريعة⁹، كما قال تعالى عن القرآن:

بل هو آيات بينت في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا
الظلمون ﴿٤٩﴾

(سورة العنكبوت: ٤٩)

فالتفسير العلمي باعتباره مصطلحا مركبا من الكلمتين معا. ونلخص من التعريفات الكثيرة، التفسير العلمي عبارة عن استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

وهذا التعريف نص على كون العلم التجريبي خادما للنص القرآني وليس حاكما عليه. أن التعريف قصر أثر العلم التجريبي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات، لأن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والسلف الصالح، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة وإذا تضيق الدائرة ونعرف التفسير العلمي بما يفترض أن يكون عليه وليس بمجرد واقعه السائد فإننا نضيف

⁹ نفس المرجع. ص 19-20.

كلمة (حقائق) قبل كلمة (العلم التجريبي) لنحصر التفسير العلمي في دائرة الحقائق العلمية لا النظريات والفرضيات التي يجيز بعض المعاصرين توظيفها في فهم دلالة الآية القرآنية¹⁰.

التطور التاريخي في التفسير العلمي

في العصر العباسي، برز العديد من العلوم التجريبية وحاول بعض العلماء أن يوائم بينها (العلوم) وبين ما جاء في القرآن الكريم أو قل أن يوجد على الأقل بينهما بعض العلاقة. وفي الحقيقة إن للتفسير العلمي جذورا في تاريخنا الحضاري الإسلامي المجيد، فليس هذا التفسير ببدع في العصر الحديث، ونكاد نجزم أن هؤلاء المفسرين المحدثين وكذلك الذين أولعوا بهذا الجانب من التفسير يتكون على أصول سابقة. ذاك أنه عندما ازدهرت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي، وبرز العديد من العلوم التجريبية وحاول بعض العلماء أن يوائم بينهما وبين ما جاء في القرآن الكريم، أو قل أن يوجد على الأقل بينهما بعض العلاقة.

¹⁰ نفس المرجع. ص 21.

ومن الأمثال من العلماء وكتبهم في التفسير العلمي هو أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في جواهر القرآن¹¹ وكتاب مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)¹² وكتاب قانون التأويل للإمام أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) وكتاب الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) والإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

أن التفسير العلمي في العصر الحديث بعد أن تم للعثمانيين السيطرة على العالم العربي منذ أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ران على أقاليم البلاد العربية نوع من الجمود العلمي. وهذا الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي لم يكن مقصودا من الدولة العثمانية، وإنما هو نتيجة لما كانت تعانیه الدولة العثمانية نفسها، وأسطع دليل على ذلك أن الإنكشارية الجيش الرسمي للدولة كان يحارب كل تجديد من قبل السلاطين العثمانيين والحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣هـ - ١٢١٦هـ) من

¹¹ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ١٤٠٦هـ، كتاب جواهر القرآن.

¹² الفخر الرازي، ١٤٠١هـ، كتاب مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، دار الفكر.

عوامل المهمة التي هزت العالم العربي والإسلامي، وإن كان قد سبقتها بعض حركات اليقظة الإسلامية.

ومن آراء العلماء المعارضون عن التفسير العلمي هو أبو إسحاق الشاطبي¹³،

هو من أشد المعارضين القدامى للتفسير العلمي والدكتور محمد حسين الذهبي¹⁴ وشيخ

الأزهر محمود شلتوت¹⁵ والدكتور شوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)¹⁶. ومن المؤيدون لتفسير

العلمي هو الإمام الغزالي (ت ٥٥٠٥)¹⁷، والإمام الفخر الرازي (ت ١٢٠٩)¹⁸ والإمام

السيوطي (ت ٩١١هـ)¹⁹.

¹³ نفس المرجع. ص 27.

¹⁴ محمد حسين الذهبي. د.ت. كتاب التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة. ج ٣.

¹⁵ فهد الرومي. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. ج ٢. ص ٥٧٨.

¹⁶ فضل حسن عباس. ١٤٧٣هـ. التفسير والمفسرون في العصر الحديث - فضل عباس. الأردن: دار النفائس

للنشر والتوزيع. ج ٣.

¹⁷ أبو حامد الغزالي. ١٩٦٣م. كتاب إحياء علوم الدين. د.م. ج ١، ص ٢٩١.

¹⁸ محمد عاصم بن محمد علي. 2020م. المرجع السابق. ص 30.

¹⁹ نفس المرجع. ص 30.

ترجمة الشيخ الشعراوي

إن الشيخ محمد ابن متولي الشعراوي ولد في الخامس عشر من أبريل سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١١م²⁰ في قرية دقادوس مركز ميت غمر التابع لمحافظة الدقهلية، بجمهورية مصر العربية²¹. توفي رحمه الله تعالى في ١٧ إبريل 1419هـ يوم الأربعاء قبيل صلاة الفجر، ودفن في قريته دقادوس²².

وإن أسرة الشيخ الشعراوي من عائلة المتدينة متوسطة الحال، ليست غنية وليست فقيرة. وهي أسرة متميزة وطيبة الأصول مع أن يمتد نسبها إلى أهل بيت النبوة، ووالدته ينتهي نسبها من ناحية والدها إلى الحسين بن علي كرم الله وجهه²³. وقد ذكر أن الشيخ تزوج وكان طالبا بالمعهد الابتدائي وأنجب خمسة أبناء.

²⁰ أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، 2018م، الضيافة والكرم في ضوء تفسير الشعراوي: دراسة تحليلية، (بحث متطلب مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث)، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ص 10.

²¹ د/ منصور كافي، 2006م، المرجع السابق، ص 113.

²² أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، 2018م، المرجع السابق، ص 11.

²³ أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، 2018م، المرجع السابق، ص 10.

لا ينافي أحد أن تعلم الشيخ القراءة والكتابة في الكتب الموجودة في قريته، إلا أن والده له دور مهم في تشكيل شخصيته حيث كان والده يهتم بالعلم والتعلم. وحفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره، وقيل أنه في العاشرة من عمره في الكتاب على يدي الشيخ عبد المجيد باشه، وكان هذا الشيخ متوحشا حتى كان يؤدب طلبته بعكازه إذا لم ينطقوا بنطقا صحيحا، أو لم يحفظوا القرآن حفظا جيدا. ولهذا السبب، جعل الشيخ يطلب العلم بمجد، حتى صار طالبا متميزا.

بدأ الشيخ الشعراوي بالمعهد الابتدائي الأزهرى بالزقازيق سنة 1926م. وتخرج الشيخ في هذا المعهد سنة 1932م²⁴ بالقسم الثانوي التابع، وحصل على الشهادة الثانوية عام 1936م²⁵. وفي هذه الفترة، وكتب الشيخ التطور التاريخي الذي ألحق بالأزهر الشريف حيث أدخلت إلى جانب العلوم الشرعية العلوم الحديثة مثل الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والرياضيات وغيرها من العلوم المستحدثة.

²⁴ نفس المرجع، ص 12.

²⁵ د. منصور كافي، 2006م، المرجع السابق، ص 113.

وقد حصل الشيخ الشعراوي على إجازة التدريس في سنة ١٩٤٣م أو كما
بعض قيل في عام 1942م²⁶ في كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف في القاهرة وبعد
تخرجه من كلية اللغة العربية كان أول تعيين له مدرسا في المعهد الديني بطنطا²⁷، عاصمة
محافظة الغربية بمصر. ولكنه لم يبق طويلا بهذا المعهد حيث تغير مكان عمله، فانتقل
بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق، ثم المعهد الديني الأزهرى بالإسكندرية²⁸. وقد
حصل الشيخ الشعراوي على خبرة تدريسية طويلة قيمة من هذه المعاهد، وهي ما
يقارب حوالي تسع سنوات.

ثم سافر الشيخ الشعراوي إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٠م²⁹ ليعمل
مدرسا في معهد الأنجال، قد حصل على خبرة تدريسية في خارج مصر³⁰. ثم عين بعد

²⁶ نفس المرجع، ص 113.

²⁷ أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، 2018م، المرجع السابق، ص 14.

²⁸ نفس المرجع، ص 13.

²⁹ نفس المرجع ص 13.

³⁰ نفس المرجع ص 13.

ذلك أستاذًا للشريعة بجامعة أم القرى³¹. وفي عام 1951م استدعي الشيخ الشعراوي ليعمل هناك مدرسا للتفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ثم عاد إلى مصر، عين وكيلا لمعهد طنطا الأزهرى. ومن الأماكن الذي عمل الشيخ الشعراوي طول خدمته هو منصب مدير أوقاف محافظة الغربية، وبعد عام تولى منصب مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة 1961م، واختاره الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر مديرا لمكتبه ثم عين مديرا عاما لشؤون الأزهر سنة 1965م، ثم بعدها سافر الشيخ الشعراوي إلى الجزائر ليتولى رئاسة البعثة الأزهرية ويتولى الإشراف على تعريب المناهج ووضع المناهج العربية والإسلامية سنة 1966م³².

بعد نكسة 67 عاد إلى وطنه مصر ثم بعد ثلاثة أعوام عين الشيخ أستاذًا زائرا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز سنة 1970م، ثم عين رئيسا للدراسات العليا بالجامعة نفسها وذلك حتى عام 1972م. ظهر الشيخ محمد متولى الشعراوي رحمه الله تعالى في عام 1973م، لأول مرة على شاشة التلفاز المصري في برنامج "نور

³¹ جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة، ولقد اضطر الشيخ الشعراوي أن يدرس مادة العقائد في جامعة أم القرى رغم تخصصه أصلا في اللغة العربية.

³² نفس المراجع. ص 113-114.

على نور" في ثلاث حلقات متصلة عرض فيها حادثة الإسراء والمعراج بأسلوب لم يسبقه أحد. وقد اختير من قبل وزارة السيد ممدوح سالم ليتولى حقيبة وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ثم بعد عامين قدم استقالته ليتفرغ بعد ذلك للدعوة والتأليف في عام 1976م.

ومع بداية عام 1977م بدأت جولات هذا الداعي الكبير خارج حدود الوطن العربي والإسلامي ففي أبريل من نفس العام سافر الشيخ الشعراوي إلى عمر آباد بالهند، وسافر إلى لندن لحضور مؤتمر الاقتصاد الدولي بالمركز الإسلامي الأوروبي. في عام 1986م اختير فضيلة الشيخ رحمه الله " رئيساً لمؤتمر السنة المنعقد (بلوس أنجلوس) إحدى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام 1987م اختير فضيلته عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة "مجمع الخالدين"، وبعد عام حصل على وسام الجمهورية من الرئيس المصري بمناسبة الاحتفال بيوم الدعاة. حصل الشيخ كذلك على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة المنوفة والمنصورة في الآداب³³، وقد توج هذا التكريم للشيخ الراحل عندما منحه صاحب

³³ نفس المراجع، ص 113-115.

السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة (وسام زايد من الدرجة الأولى، وكذلك اختياره الشخصية الإسلامية لعام 1997م.

تتلمذ الشيخ الشعراوي في بداية حياته العلمية في الكتاب على يد الشيخ عبد المجيد باشا ثم بعد ذلك في معهد الرقازيق الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ أحمد مكي شيخ معهد الرقازيق ومن شيوخه في كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف³⁴ منها الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الكلية والشيخ عبد المعنى علي حسن والشيخ أمين سرور والشيخ محمد غرابة والشيخ محمد نور الحسن والشيخ عبد الحميد عبد الغفار ناصف والشيخ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محي الدين عبد الحميد إبراهيم والشيخ عبد الرحيم البلتاني.

يؤلف الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، مجموعة من المؤلفات في مختلف الفنون والتخصصات ومن بينها³⁵ هو معجزات القرآن "أجزاء" وسلسلة الفتاوى "أجزاء" والتربية الإسلامية وهذا هو الإسلام وعقيدة المسلم والإسراء والمعراج والقضاء

³⁴ نفس المراجع، ص 115-116.

³⁵ نفس المراجع، ص 116-117.

والقدر ونداء إلى الشباب المسلم وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم دروس وعبر وتفسيره، وهو يتضمن خواطره الإيمانية حول القرآن الكريم الذي صدر منه 17 مجلداً. لقد وضع الشعراوي رحمه الله أن منهجه في التفسير ليس تفسيراً لآيات القرآن الكريم وإنما خواطر إيمانية حيث قال في مقدمة تفسيره: "خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيراً للقرآن. وإنما هي هبات صفائية. تخطر على قلب مؤمن في أية أو بضع آيات"³⁶. وقد ذكر محمد رجب البيومي شخصية الشعراوي فقال: " بسبب تواضع الشيخ رحمه الله جعل من تفسيره خواطر مع أنها من أساس التفسير، وظهرت المجلدات باسم "تفسير الشعراوي" وهذا التواضع إنما كان أصله من تحرز الشيخ الشديد في أن يكون في خواطره مما لا يتفق مع ما أراده الله عز وجل"³⁷.

إن تفسير الشعراوي أشبه بالتفسير الموضوعي فهو عندما يشرح آية يأتي بنظائرها وما يتفق معها في الموضوع ثم يقف كاشفاً عن الأسرار البلاغية التي تكمن في التفسير في هذا اللفظ في هذا الموضوع مرجعاً ذلك إلى النظم وأسرار التركيب ذاكر السر في

³⁶ فضيلة الشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي. 1411هـ، تفسير الشعراوي. الأزهار: مجمع البحوث الإسلامية للإدارة العامة. البحوث والتأليف والترجمة. ج 1. ص 9.

³⁷ نفس المرجع. ص 3.

التقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك بناء على نظرتة لمناسبة السياق والمقام³⁸. شرح الشيخ شعراوي بتحليل اللغوي للكلمة وتأصيلها وبيان مشتقاتها ومعانيها وبيان المعنى المراد في سياق الآية التي يشرحها. وإضافة إلى ذلك، شرح معاني الآيات وتفسيرها وتبسيطها بحيث يستوعب المعنى العميق كل من العالم والمتقف والأمي، فقبل أن يلقي تفسيره يرجع إلى التفاسير المختلفة وينظر ماذا قال أصحابها بدليل ذكره لبعض أراء المفسرين خلال إلقاء خواتمه كالرازي والزخشي والألوسي وسيد قطب وغيرهم، وربما استعان بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن واستعان بالقواميس اللغوية كالمختار والصحاح. يعتبر الشيخ الشعراوي مجددا ومجتهدا في التفسير باعتبار المنهج الذي استخدمه في تفسير القرآن الكريم، حيث يفسر القرآن بالقرآن والقرآن بالحديث والقرآن بأقوال الصحابة والتابعين. ويطلق على تفسير القرآن بالحديث وأقوال الصحابة والتابعين بالتفسير بالمأثور³⁹، حيث نجده يرجع أحيانا إلى تفسير السابقين لبعض الآيات إذا ما اقتنع بأنها تدل على معنى الآيات القرآنية.

³⁸ أ. حمو عبد الكريم. 1433هـ. المرجع السابق. ص 212.

³⁹ د. منصور كافي. 2006 م. المرجع السابق. ص 123.

دراسة عن الآيات الكونية في تفسير الشعراوي

عندما نجد إشارات في القرآن الكريم حول بعض القضايا والسنن الكونية فما هي إلا حوافز للعقل البشري وشواهد على أن القرآن الكريم كلام الله وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فعندما نستعرض آيات تعاقب الليل والنهار في كتاب الله نجد أنها قد ذكرت في اثنين وعشرين موضعا وغالبا ما قرنت هذه الآيات بطلب من الله تعالى للتفكر فيها.

الخلق في النبات والأشجار

قال الله تعالى:

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون

(سورة الأنعام: 99)

والله سبحانه وتعالى يستفهم من الإنسان ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه

مع الله بل هم قوم يعدلون.

بسطحية راح أحد المستشرقين يردد: أينعى الله على الخلق ويعيب عليهم أن

يعدلوا؟ ذلك أنه لم يفهم المعنى الصحيح، فالعدل هنا بمعنى العدول عن الحق أو الميل

عنه. ويقول:

أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين

البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون

(سورة النمل: 61)

إنه سبحانه الذي خلق الأرض ومن خلالها الأنهار وجعل فيها الجبال الرواسي،

ويوضح الحق سبب وجود الجبال الرواسي في موقع آخر من القرآن الكريم:

قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا

ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها

أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين

(سورة فصلت: 10)

بارك الله في الجبال وقدر فيها أقواتها، فالقوت هو ما ينتفع به في استبقاء

الحياة. ونعرف أن القوت يؤخذ من الزرع، والزرع ينمو دائما في الأرض الخصبة،

وخصوبة الأرض تكون في الوديان، والوادي هو المكان الذي يكون بين جبلين. ولماذا

يكون الوادي خصبا بين جبلين؟ لأن المطر حين ينزل من السماء، إنما ينزل على الجبال، والجبال كما تعرف معرضة لعوامل التعرية، فالحرارة تأتي بعد البرودة، والحرارة تجعل الأرض تمتد والبرودة، تقبض المادة، وما بين القبض والبسط يحدث للجبال التشقق السطحي⁴⁰. وعندما ينزل المطر فهو يجرف هذه التشققات، فتنزل من قمة الجبل بقوة الدفع لتصير جسيمات ناعمة، ونسميها نحن الغرين أو الطمي.

إذن فالجبال هي مخازن الأقوات. ومن فضل الله أن جعل الجبال صلبة، فلو أنها كانت هشة من أول الأمر، لكان سيل واحد من المطر كفيلا بإزالتها كلها، ولجعل الأرض سطحا واحدا، ولا انتفع البشر بنصف متر من الخصوبة. وعندما يشاء الحق سبحانه إيدان النهاية، تتفتت كل الجبال ويقول للساعة.

خلق الماء

الماء له استطراق فسلكه الله ينابيع في الأرض⁴¹، فالإنسان يحفر في مكان من الأرض فيجد الماء عذبا، وفي موقع آخر يدق الإنسان الأرض ويجفرها ليجد الماء ولكنه مالح.

⁴⁰ الشيخ محمد المتولي الشعراوي. 1411هـ. تفسير الشعراوي. المجلد الرابع. إدارة الكتب والمكتبات. الأزهار مجمع البحوث الإسلامية. ص 1937.

⁴¹ الشيخ محمد المتولي الشعراوي. 1411 هـ. المرجع السابق. ص 1951.

لماذا إذن لم يتسرب الماء المالح إلى الماء العذب وكلاهما تحت الأرض؟ إذن لابد أن للماء

المالح مسارب تختلف عن مسارب الماء العذب ولا يطغي أحد على الآخر.

أن الماء العذب يأتي من أعلى. ونجد دائما منابع الأنهار عالية وتصب في

البحر⁴². والحق لم يجعل منسوب الماء المالح أعلى من منسوب الماء العذب، حتى لا

يطغى الماء المالح على الماء العذب، لأنه سبحانه يريد أن يرتوي الناس من الظمأ بالماء،

ويريد للزرع أن ينمو، وأن يتجه الفاض من الماء العذب إلى مخزن الماء سواء في بطن

الأرض أو في البحار، وتأتي من بعد ذلك عملية التبخير فيتصاعد الماء بخارا ليصير

سحابا، ثم يمطر من بعد ذلك ماء عذبا. والقدر الذي خلقه الله من الماء أزلا.

إن الإنسان لا يخترن إلا الموجود فيه الآن من الماء. والجسم الإنساني به حوالي

تسعين بالمائة من مكوناته من الماء⁴³، وبعد ذلك يموت الإنسان فيتبخر منه الماء وتنزل

بقية العناصر للأرض. إذن فكمية المياه. واحدة، ولكنها تخضع لدورة أرادها الله.

⁴² نفس المرجع. ص 1951.

⁴³ نفس المرجع. ص 1951.

ومعنى المضطر هو الإنسان الذي استنفد أسباب بشريته ولم يدرك ما يحفظ به

حياته ولذلك يقول الحق:

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه

ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا

يعملون

(سورة يونس: 12)

ذلك أنه عندما يصاب الإنسان بحدوث جسيم، فهو لا يكذب على نفسه،

حتى الكافر بالله عندما يجد أن كل الأسباب المادية التي أمامه لا تنفعه فهو يلجأ

ويعترف بأن هناك إلهاً واحداً خالقاً.

تعاقب الليل والنهار في القرآن

اختلاف الليل والنهار بمعنى أن هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة⁴⁴ وكذلك هناك إعجال في الاتصال بينهما. ومن الآيات التي تتحدث في

هذا الموضوع: قال تعالى:

إن في خلق السموت والأرض وأختلف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابةٍ وتصريف الريح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيتٍ لقومٍ يعقلون ﴿١٦٤﴾

(سورة البقرة: ١٦٤)

والآيات الأخرى قوله تعالى:

إن في خلق السموت والأرض وأختلف الليل والنهار لآيتٍ لأولي الألباب ﴿١٢١﴾

(سورة آل عمران: 190)

⁴⁴ الشيخ محمد المتولي الشعراوي. 1411 هـ، المرجع السابق. ص 1936.

إن النهار والليل يزيدان وينقصان في الزمن على حساب بعضهما. قوله تعالى:
تولج أليل في النهار وتولج النهار في أليل وتخرج ألي من أليت وتخرج

أليت من ألي وترزق من تشاء بغير حساب ﴿٢٧﴾

(سورة آل عمران: 27)

ولقد قسمت الباحث هذه الآيات إلى موضوعين هكذا اعتمادا على استنتاجات تفسير الآيات من تفسير ابن كثير⁴⁵. نحن نعرف أن مصدر ضوء النهار هو الشمس، والليل يعم أجزاء من الأرض عند غيابها. والملاحظ بالعين أن الشمس تشرق من الشرق وتتحرك في السماء حتى تغرب من جهة الغرب على شكل قوسي وهو جزء من مسار دائري.

أي أن الأمر الأول من الآيات الكريمة لفت النظر والعقل البشري إلى أن هذا التعاقب في الليل والنهار ينتج عن حركة دائرية، ولكن لا ندري أهو حركة الأرض حول الشمس أم حركة الشمس حول الأرض مع أن المشاهد هو أن الشمس هي التي تتحرك.

⁴⁵ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. 1419 هـ. تفسير ابن كثير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. منشورات محمد علي بيضون. ج 5. ص 172.

قال الشيخ الشعراوي في تفسيره ولو أنك واقف في وسط ملعب دائري وسيارة تدور من حولك سترها في جزء قوسي من الملعب ثم تغيب عنك ولو كان العكس أي أن السيارة واقفة وأنت تدور في مكانك فلسوف تراها أيضا بنفس الشكل القوسي ثم تغيب عنك، لذلك لا نستطيع بمجرد مشاهدة الشمس تشرق وتغيب أن تحكم أيهما يدور حول الآخر.

والملاحظ أن هذا يحدث على مدار السنة أي أثناء تعاقب الفصول الأربعة وهذا الاختلاف يحدث ويختلف من بقعة إلى أخرى على الكرة الأرضية. أي أن تعاقب الفصول الأربعة خلال العام يؤثر على كل من طول الليل والنهار والعكس صحيح، ولإيجاد العلاقة بينهما نطرح السؤال التالي: كيف يحدث تعاقب الفصول الأربعة⁴⁶؟ لنفترض جدلاً أن هذا يحدث نتيجة دوران الشمس حول الأرض وتعاقب الليل والنهار كذلك، فكيف لهاتين الظاهرتين أن تحدثا في زمنين مختلفين أحدهما في 24 ساعة والآخر في 365, 25 يوماً نتيجة حركة الشمس حول الأرض، مع علمنا بأن الشمس بعدها عن الأرض ثابت تقريباً.

⁴⁶ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنن. المرجع السابق.

أن حرارة الشمس تكون أشد ما يكون وقت الظهرية وهي بذلك عمودية على سطح الأرض وتكون حرارة الشمس ضعيفة عند الشروق والغروب وهي بذلك تكون مائلة على سطح الأرض بسبب توزع نفس كمية الحرارة على مساحة أوسع.

أن حرارة المناطق الاستوائية أعلى من المناطق الشمالية والجنوبية على الكرة الأرضية لأنه بسبب ميلان الشمس على سطح الأرض الكروية في شمالها وجنوبها. إذا نستطيع أن نستنتج أن الفصول الأربعة تحدث نتيجة ميلان الأشعة الشمسية على الكرة الأرضية مع الإقرار بالحقيقة العلمية وهي: أن بعد الأرض عن الشمس ثابت بنسبة تصل 99، 99%.

معجزة الخلق في الشجر

إن هذا التفسير العلمي قد أوضح شيئاً وغابت عنه أشياء، فالماء يصعد فعلاً في هذه الأنابيب الشعرية، ولكنه يصعد بكل محتوياته فأنابيب الشعرية لا تميز بين عناصر الماء، فتأخذ عنصر وتترك عنصراً، ولكن في النبات الأمر مختلف تماماً⁴⁷.

⁴⁷ نفس المرجع.

قال العلماء: ان الغذاء يصعد من جذور النباتات إلى الساق والأوراق والثمار ليغذيها، بواسطة ما يسمى بالضغط الاسموزي، أو نظرية الأنايبب الشعرية، ويدللون على صحة نظريتهم بأنهم يأتون بإناء واسع ويضعون فيه أنابيب شعرية، فنرى الماء يصعد فيها، وهكذا أراد العلم أن يفهمنا أن العملية فيها ميكانيكية الغذاء، دون أن يكون فيها آيات الخلق وإعجاز الخالق⁴⁸.

إن النبات يتغذى بالخاصية الشعرية، ونعلم أن الأنايبب الشعرية التي نراها في المعامل تكون من الزجاج الرفيع وإذا وضعناها في حوض ماء، فالماء يرتفع فيها على مستوى الإناء. إن كل شجرة تأخذ من الأرض ما ينفعها؛ ولذلك تختلف النباتات، ويحدث كل ذلك بقدرة الذي قدر فهدى⁴⁹. وهكذا نرى الأرض قطعاً متجاورات؛ منها ما يصلح لزراعة تختلف عن زراعة الأرض الأخرى. وقد يقول بعض من الملاحدة: إن هذا الاختلاف بسبب الطبيعة والبيئة.

⁴⁸ أحمد الزغيبي. د.ت. الآيات الكونية ودلالاتها علي وجود الله تعالى للداعية الشيخ محمد متولي الشعراوي. مشروع الحصن. موقع: <https://www.alhesn.net/play/>. 9474.

⁴⁹ الشيخ محمد المتولي الشعراوي. 1411 هـ. المرجع السابق. ج 12. ص 7200.

فالغذاء في الأرض بعناصره كله واحد متجانس⁵⁰، ولكننا نرى كل شجرة تأخذ من هذا الغذاء ما يناسب ثمارها، أي أنها تختار العناصر اللازمة لها، وتترك الباقي ولا تأخذه، ولذلك نرى الزرع ينبت في مكان واحد ويسقى بماء واحد، ولكن كل ثمرة لها طعم وشكل ولون ورائحة وحجم يختلف عن الأخرى، فهذه حلوة، وهذه مرة، وهذه كبيرة، وهذه لونها أحمر وهذه لونها أصفر، والثالثة لونها أبيض وهذه لها رائحة نفاذة وتلك ليس لها رائحة، أشكال وألوان مختلفة، وكل شجرة من هذه الأشجار تأخذ من الأرض ما يناسبها من عناصر التكوين الدقيق لها بكل تفاصيله وتترك الباقي ونرى شجرة التفاح ثمرها حلو ورائحتها نفاذة، وبجانبها الليمون طعمه حامض، وبجانبها الحنظل طعمه مر، وثمره نأكلها ونترك ما بداخلها مثل المشمش والخوخ والبلح، وثمره نزرع غلافها لا نأكله ولكننا نرميه كالبرتقال والبطيخ، وثمره لها غلاف هش كالبرقوق مثلا، وثمره غلافها جامد قوي لا تستطيع أن تنزعه بيديك كالجوز واللوز والبندق وجوز الهند، وثمره صالحة للتخزين أياما أو أسابيع كأنواع من البطيخ، وثمره صالحة للتخزين شهورا طويلة كالجوز واللوز.

⁵⁰ أحمد الزغيبي. د.ت. الآيات الكونية ودلالاتها على وجود الله تعالى للداعية الشيخ محمد متولي الشعراوي. المرجع السابق.

الخاتمة

في الواقع، كان الغرض من هذه الدراسة هو العثور على دليل على قدرة الله على إحياء الموتى وخلق السماء والأرض بأكملها. ولكن في نهاية الدراسة اكتشف الباحثة بشكل غير مباشر مختلف الانضباط العلمي لتحقيق هذا الهدف. وبالتالي، ترى الباحثة أن الله سبحانه وتعالى نفسه يتحدث أيضا عن أشياء الغيبيات مثل الجنة والنار والمحشر، ويوم القيامة. إذا أثبت الله قوته بينما يعيش البشر على هذه الأرض، فلماذا نرفض أشياء الغيبيات عندما تأتي من نفس الله عز وجل؟ والله، إن الله أحد. وبهذا أدعو الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه وأن يكون هذا البحث مفيدا نافعا للقراء ولنفسى في المستقبل. وأسأل الله أن يوفقني في جهدي المتواضع ويتقبل الله أعمالنا جميعا. وبالله التوفيق والهداية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ. حمو عبد الكريم. 1433هـ. منهجية الشيخ محمد متولي الشعراوي في التفسير القرآني. مجلة الحضارة الإسلامية. العدد (16).

أ.د. عادل بن علي بن أحمد الشدي. د.ت. " التعريف بالتفسير العلمي ". التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم جذوره وتطبيقاته والموقف منه. المملكة العربية السعودية. المقر الرئيسي: الرياض. الملز: دار الوطن للنشر والتوزيع. عدد (2).

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. 1419 هـ. تفسير ابن كثير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. منشورات محمد علي بيضون.
أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري. 1414 هـ. كتاب لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو حامد الغزالي. ١٩٦٣م. كتاب إحياء علوم الدين. د.م.
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ١٤٠٦هـ، كتاب جواهر القرآن.

أحمد صلاح الدين بن محمد عزيزان، 2018م، الضيافة والكرم في ضوء تفسير الشعراوي: دراسة تحليلية، (بحث متطلب مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث)، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

أكرم الدليمي. ٢٠٠٦م. جمع القرآن- دراسة تحليلية لمروياته. بيروت: دار الكتب العلمية.

جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة، ولقد اضطر الشيخ الشعراوي أن يدرس مادة العقائد في جامعة أم القرى رغم تخصصه أصلاً في اللغة العربية.

د. محمد أ.س. عبد الحليم وغيرها. د.ت. البرهان. د.م. 4 (2).

د. منصور كافي، 2006م، الشيخ محمد متولي الشعراوي ومنهجه في التفسير، مجلة كلية العلوم الإسلامية، (الصراط س-6)، الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة باتنة، العدد 12.

سيتي أمينة نور المؤمن بنت معمر الدين. ٢٠١٧م. أبو بكر الباقلاني: البحث عن مفهومه للإعجاز القرآني.

الشيخ محمد المتولي الشعراوي. 1411هـ. تفسير الشعراوي. المجلد الرابع. إدارة الكتب والمكتبات. الأزهار مجمع البحوث الإسلامية.

صلاح الدين. ٢٠١٨م. منهج الشيخ الشعراوي في عرض مسائل العقيدة -النبوات أنموذجاً.

الفخر الرازي، ١٤٠١هـ، كتاب مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، دار الفكر.

فضل حسن عباس. ١٤٧٣هـ. التفسير والمفسرون في العصر الحديث - فضل عباس. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

فضيلة الشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي. 1411هـ، تفسير الشعراوي. الأزهار: مجمع البحوث الإسلامية الإدارية العامة. البحوث والتأليف والترجمة.

فهد الرومي. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر.

محمد حسين الذهبي. د.ت. كتاب التفسير والمفسرون. القاهرة: مكتبة وهبة.

محمد عاصم بن محمد علي. 2020م. "الدراسات القرآن السنة". (ورقة عمل).

التفسير العلمي للقرآن الكريم: دراسة عن الآيات الكونية في سورة يس.
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، نيلاي.

محمد مظل عدلي بن نعمت. ٢٠١٢م. تأويل آيات الصفة عند الإمام فخر الدين
الرازي: دراسة في تفسيره الكبير.

مصطفى مسلم. 1421هـ. كتاب مباحث في التفسير الموضوعي.

نضال يوسف أبو ميالة. 2019 م. التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الدكتور محمد
راتب النابلسي والدكتور زغلول النجار: دراسة مقارنة. كلية الدراسات العليا
في جامعة الخليل.

د. حسني حمدان الدسوقي حمامة. ٢٠١٤م. التفسير العلمي ووجوه إعجاز القرآن
الكريم. الألوكة الشرعية.

<https://www.alukah.net/sharia/0/70052/>

التفسير-العلمي-ووجوه-إعجاز-القرآن-الكريم/

أ.د. خيرالدين خوجة الكوسوفي. ٢٠١٩م. وقفات مع التفسير العلمي للقرآن الكريم.

الجزيره. <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/1/25/>

د.مف. د.ت.